

الدكتور علي زيعور في تحليل علم نفساني

لمذاهب وتيارات مختلفة في الفلسفة العربية المعاصرة.

[www.arabpsynet.com/Documents/DocHassanContArPhiloZayour.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/DocHassanContArPhiloZayour.pdf)

الدكتور محمد رضوان حسن

الطب النفسي - لبنان

[mohamadradwan.hassan@yahoo.com](mailto:mohamadradwan.hassan@yahoo.com)



كتاب الدكتور علي زيعور ( العقل والتجربة في الفلسفة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت سنة 2011 ) لا يدرس في فصوله الأخيرة أعلاماً في الفلسفة. كل ما يقوم به هو تصفح سريع للتيارات الفلسفية المعاصرة ولكن الدكتور زيعور إذ يفعل ذلك يشير إلى أن القرن العشرين لم يخل من رجالات كبار في الفلسفة. فقد ظهر في النصف الأول من هذا القرن كل من عبد الرحمن بدوي وزكي نجيب محمود وعثمان أمين. هؤلاء يصفهم الدكتور زيعور بالأبطال ويسمي الحقبة التي وجدوا فيها بحقبة الأبطال. هذه الحقبة - حسب ما يذهب الدكتور زيعور - إنتهت في مرحلة الستينات أو السبعينات، فكأن الدكتور زيعور يقول هنا بتوقف التاريخ عن السير، عن إنجاب أبطال آخرين، كأني به متشائم النظرة إلى التطور !! هل بالفعل ليس من أبطال في الفلسفة بعد هؤلاء الأبطال الذين ذكرهم الدكتور زيعور ؟ ومهما يكن الأمر فلعل ما يريده الدكتور زيعور هو أن هؤلاء الرجال كانوا أبطالاً بالنسبة لعصرهم، لأن الحقبة التي عاشوا فيها كانت حقبة آلام وإحباطات وعصاب المنكوبية الجماعي، أي - كما يشرح الدكتور زيعور - عصاب الإنهزام الحضاري في العام 1967 عبر إنجراح العقل الإستراتيجي العربي (ص 282) .

X

هؤلاء الأبطال لا يخصص لهم الدكتور زيعور أية دراسة مسهبية. بل بالعكس من ذلك . يمر عليهم بسرعة مكتفياً بذكرهم فقط . وهو إذ يفعل ذلك يبين بأن النصف الثاني من القرن العشرين كانت فيه أحداث كلها جارحة للأمة والمجتمع والعقل والسياسة والإقتصاد، وبإختصار جارحة للعقل العربي المغروس كما يقول في دار عالمية كانت معنية بإستغلاله وقهره وليس بتقديمه وإستقلاله أو حتى بإقتباله وللاقرار له بحق الحضور (ص 283-284) .

الدكتور زيعور نجده هنا يعتبر النصف الثاني من القرن العشرين مرحلة إحباط كبير... ولكن هل هذا الإحباط كان أكبر من الإحباطات التي عاشها العقل العربي بما في ذلك "عقل الأبطال" في النصف الأول من القرن العشرين ؟ هل إحباط سنة 1967 أكبر هولاً من تقسخ العالم العربي وتطبيق سايكس بيكو وإقامة دولة إسرائيل في قلب العالم العربي ؟! إنجراح العقل العربي قديم جداً ولا يزال (بالطبع) إلى عصرنا الحاضر.

النصف الثاني من القرن العشرين كانت فيه أحداث كلها جارحة للأمة والمجتمع والعقل والسياسة والإقتصاد، وبإختصار جارحة للعقل العربي.

هل إحباط سنة 1967 أكبر هولاً من تقسخ العالم العربي وتطبيق سايكس بيكو وإقامة دولة إسرائيل في قلب العالم العربي ؟! إنجراح العقل العربي قديم جداً ولا يزال

العربي في النصف الثاني من القرن العشرين جعل المنفعة عنده غاية مقصودة وامتزج سلوكه وانطبع بعبادة المحسوس والمادج وبتنفس

X

الدكتور زيعور في الفصول الأخيرة من كتابه، و قد أشرت إلى ذلك، لا يحل نفسانيا بقدر ما يتصفح و بسرعة تيارات متفرقة عبر فقرات كل واحدة منها تشكل كيانا مستقلاً تقريباً في ذاته ، هو مثلاً يعالج الذرائعية أو التيار الذرائعي باحثاً عن العملي أو التجريبي، مبيناً بأن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين جعل المنفعة عنده غاية مقصودة و امتزج سلوكه و انطبع بعبادة المحسوس و المادي و بتنافس المصلي و الكسب، و امتص الكثير من الخصائص و السلوكيات و الأفكار و المعتقدات الخاصة بالمجتمع الصناعي ، و لكن الدكتور زيعور في الوقت نفسه يبين بأن البرغماتية العربية المعاصرة حكمتها و لونها عوامل داخلية مستقاة من الوعي الفقهي و تراث أصول الفقه و علوم إسلامية مماثلة ( ص 286 ) .

غير أننا لا نجد الدكتور زيعور في ملاحظاته المقتضبة عن الذرائعية يذكر شيئاً عن ممثلها أو عن حملة لوائها ، و قد يكون السبب في ذلك يرجع إلى أن الدكتور زيعور لا يجد، كما يقول، في هذه الذرائعية ما هو خلاق أو ما يكشف عن عمق في فهم الحقيقة كما في تفسير التاريخ و الوعي أو القيمة والخير. البرغماتية أو الذرائعية بنظره تبقى تبسيطاً و ساذجة و عوامية ( ص 288 ) .

X

ما يخصه الدكتور زيعور للذرائعية من تحليل ليس بأكثر مما يخصه للإشترائية و الإشتراكيات العربية. فهذه الأخيرة وجدت لها مكاناً في المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة بل إن هذه المدرسة إستوعبت الإشترائية. هي استوعبت الماركسية العربية، أي الماركسية بلغتها العربية أو الكتاب العربي، و قطاع الأفكار المادية كما المادية التاريخية أو المادية الجدلية ، و هذا الإستيعاب كان نقادياً حضارية (ص289). الدكتور زيعور يرى أن العقل الإشترائي ساعد على صقل القول العربي في الفعل و في العمل كصانع للإنسان و القيم المرئية، ما يهيم الدكتور زيعور هو أن المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة تحاكم ، تحلل ، تقارن القول العربي في الماركسية من أجل أن تتدبر التفسير الإقتصادي الجدلي للتاريخ و الإنسان و الحرية دون أن تذهب إلى القول بسيطرة ذلك التفسير أو بأحاديته و بمنطقه الإلغائي الرفضاني القاطع القطعي. و باختصار يذهب الدكتور زيعور إلى القول بأن الإشتراكيات العربية المتعددة فازت بحظوة ونجاحات قد يعاد شيء كثير أو قليل منها إلى كونها مشرباً بالمهدوية اللاواعية، بالنعيميات أو الفردوسيات الأرضية ، بنكوصية طفلية إعتمادية إلك ثدي الأم و بحنينية إلك الحزن، لكن المفقود

X

تحاليل الدكتور زيعور العلم نفسانية تتناول تيار فلسفات العقل و تيار فلسفات التجربة، و كل من هذين الصنفين من التيارات يدخل في إهتمامات المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة. الدكتور

البرغماتية العربية  
المعاصرة حكمتها و  
لونها عوامل داخلية  
مستقاة من الوعي  
الفقهي و تراث أصول  
الفقه و علوم إسلامية مماثلة

يذهب الدكتور زيعور  
إلى القول بأن  
الإشتراكيات العربية  
المتعددة فازت بحظوة  
ونجاحات قد يعاد شيء  
كثير أو قليل منها إلى  
كونها مشرباً بالمهدوية  
اللاواعية، بالنعيميات أو  
الفردوسيات الأرضية ،  
بنكوصية طفلية إعتمادية  
إلك ثدي الأم و بحنينية  
إلك الحزن، لكن المفقود

العقل، بنظر الدكتور  
زيهور، ليس مستودع صور.  
هو الإدراك ، هو الذكاء  
، ليس مجرد تراكب للصور

ما يهم المدرسة العربية  
الراهنة في الفلسفة هو  
العقل المشرع لنفسه ،  
الحقيقة المبنية المصاغة  
تبعاً للفضاء المشترك بين  
علوم العقل و علوم  
التجربة

فلسفات البيولوجيا نفعت  
لكونها رجّت الجذور و  
الأسس للفكر و الوعي ، و  
هدمت أوهاماً و رطانات

يرك الدكتور زيعور أن  
هذه المنهجيات استمرت  
حتى مرحلة عصاب  
المنكوبية بفعل الإنهزام  
المضارح في الستينات

المرحلة كانت المرحلة  
الراهنة التي هي مرحلة  
مأزقت و فجرت ثم  
أعادت صياغة كل  
المناهج الفلسفية :  
التاريخي، اللغوي ، الفقه  
اللغوي ، التحليلاتي ،  
التفكيكي ،  
الإبيستمولوجي ،  
النفساني العيادي ، و  
التحليل النفسي الإنساني

زيور يبين أن أصحاب الفلسفات العقلية نجحوا في تنفيذ الدور المعطى للتجربة و الإحساس ذلك أنه، برأي الدكتور زيعور، "لا يقبل العقل أن يفسر بالتجربة و لا يرى صحة في اعتبار التجربة كينة أو جوهرًا أو مفسراً لكل سيرورات العقل". و يضيف الدكتور زيعور قوله " و هذا بغير أن ينزلق هذا التيار العقلي إلى اعتبار العقل مفهوماً مجرداً أو ما وراثياً ". العقل، بنظر الدكتور زيعور، ليس مستودع صور. هو الإدراك ، هو الذكاء ، ليس مجرد تراكم للصور (ص291). فما يهم المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة هو العقل المشرع لنفسه ، الحقيقة المبنية المصاغة تبعاً للفضاء المشترك بين علوم العقل و علوم التجربة ( ص 291 ) . و أمام هذا التيار العقلي لا تصمد - كما يبين الدكتور زيعور - فلسفات البيولوجيا مثل السلوكانية و المادانية ، بل تيار الفكر الأنكلوسكوني بعامه : المنفعانية ، الذرائعية ، المصلحانية، و لكن الدكتور زيعور يستدرك هذه المواقف حين يبين في الوقت نفسه بأن فلسفات البيولوجيا نفعت لكونها رجّت الجذور و الأسس للفكر و الوعي ، و هدمت أوهاماً و رطانات ( ص 296 ) .

غير أن التيار العقلي، كما يشرح الدكتور زيعور، يتأرجح مع ذلك عبر فلسفة العلم التي قدمت تنويراً هاماً في ميدان علم المنهج، و هذا ما نجده في الشك المنهجي عند عثمان أمين أوطه حسين، و تطورت المنهجيات و ازدادت عبر زكي نجيب محمود في منهجه للتحليل اللغوي و المنطقي ، و يرى الدكتور زيعور أن هذه المنهجيات استمرت حتى مرحلة عصاب المنكوبية بفعل الإنهزام الحضاري في الستينات ، ثم بعد هذه المرحلة كانت المرحلة الراهنة التي هي مرحلة مأزقت و فجرت ثم أعادت صياغة كل المناهج الفلسفية : التاريخي، اللغوي ، الفقه اللغوي ، التحليلاتي ، التفكيكي ، الإبيستمولوجي ، النفساني العيادي ، و التحليل النفسي الإنساني(ص297) .

من خلال هذه التحليلات التي هي عاجلة، يبين الدكتور زيعور، بأن العقل العربي أو الفلسفة العربية الراهنة قد زحمت و طورت الخطاب العربي في نقد و محاكمة و صياغة الحقيقة، و في صياغة القانون العلمي، و في تعيين المنهج كما في توكيد قدرة العقل على تفعيل التبادلية و التداخلية ، و من ثم على الإنفتاح و التعاون بين المناهج ( ص 297 ) .

X

هذه النظرة السريعة في علم المنهج تقود الدكتور زيعور إلى نظرة سريعة أخرى في حدّ الفلسفة التي تظهر عنده بأنها ليست شيئاً آخر غير العقل ( ص 302 )، و هنا نجده يتوقف سريعاً على هيغل ليشير إلى أن جدليته لم تقبل أو لم تصمد و لا وضحت نفسها بنفسها (ص 303) ثم يمر على فلسفة العقل و عقل الصنع التي تتمثل في الصناعانية ، الآليانية التي جعلت الإنسان عبداً للآلة ( ص304 ) ، و يتوقف على التأويلانية العربية بما جاءت به من تفسيرات للنص الديني أدت إلى الباطنيات الصوفية حيث الإرادة تبدو مطلقة ، كلية الحضور و الجبروت (ص304 و 306) . و الدكتور

زيغور يمر في هذه الشذرات على شوبنهاور ليعتبره مريضاً نفسياً ( ص 307 ) ، و ينتقل إلى الإنتظارية التي هي - كما يقول - فلسفة في الحياة و المستقبل و معتقد شعبي و هي فكر زمانوي مثالي و إيمان و هي بنت الظلم و العنف أو تغطية لهما و بلسمة (ص 308 و 309).

الدكتور زيغور في هذه الوقفة السريعة لا يجد بأن المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة من اختصاصها البحث في العلائقية بين الفلسفة و الدين لأنها غير متخصصة في هذا السؤال الأيضي ثم المعرفيائي، فيحيل هذه المسألة إلى بحث مخصوص تحت عنوان : التأويل الديني ، مستويات المعجزة، الوحي و العلم و النبوة و الفلسفة (ص309) ، فكأن الدكتور زيغور لا ينتبه إلى أن هذه العناوين التي وضعها هي كلها قضايا ما توقفت الفلسفة عن البحث فيها في زمن الأزمان ، فكيف اليوم يجنب الفلسفة هذه الباحث ، و في الوقت نفسه يجعلها من ميدان فلاسفة قاعهم لاهوتي الروحية من بينهم الرايوع الألماني الساطع كانط و هيغل ؟ (ص309) .

و نجد الدكتور زيغور في هذه الشذرات السريعة يشير إلى خصوصيات استقلال خطاب المدرسة العربية الراهنة في الفلسفة مبيناً بأن المنهج و النظرة أو المفهوم لا يمكن أن يوصف بأوروبي أو صيني... إلخ ، بل يوصف ب " علمي هذا المنهج أو المقال " ، لأن العقل بنظره يعلو على أن يتخم بحدود هي القارة أو العرق ، الأمة أو اللغة (ص 312 و 313) ، و لكنه بالرغم من صوابية هذا الموقف ، لا يمكن أن ننسى أو أن نتجاهل بأن هناك خصائص في التفكير للشعوب باختلاف بيئاتها و مواقعها الجغرافية ، هل العقل في أفريقيا هو نفسه العقل في أوروبا أو في أميركا أو في الهند أو في أقاصي الصين ؟ الدكتور زيغور نفسه يقر بهذه الفروقات حين نجده يحمل على الغرب، أي على العقل الغربي و على المفتونين بفلسفة الغرب معتبراً إياهم مصابون بما أسماه " العنة " ، العجز الجنسي ، هومات الخضاء . العقل الغربي عند الدكتور زيغور مصاب بعقدة التفوق : الفرنسي مثلاً - حسبما يشرح الدكتور زيغور - يرفض بانفعال و نزق أدنى إشارة إلى أن هذا الامر أو ذلك من الأمور التي عنده هو موجود عند العرب او المسلمين، عند الإفريقيين و شتى الأمم المتداخلة على ساحة العالم (ص315) . و هذا الواقع يعني بان لكل أمة خصائص بالتفكير تختص بها و هي بالضرورة ليست ذاتها عند الأمم الأخرى.

X

كثيرة ، بل كثيرة جداً تحاليل الدكتور زيغور في شتى المجالات الفكرية . فما هو مع التأويلانية العربية المحدثة في الكائن و المعنى و الحقيقة. هذه التأويلانية - كما يوضح - لا تنق بالنظرية التي تجعل الإنسان متمركزاً حول العقل أو الذات أو الحرية أو الحضور و الظاهر (ص315) ، و ها هو أيضاً مع العدمانية التي يجدها داخل النظرية العربية الراهنة في فلسفة العلم والتي - حسبما يشرح - يمثلها محمد عبد الرحمن مرحبا (ص 316) ، الزميل الذي فقدناه منذ سنوات . وها هو أيضاً يظهر مخالفاً لمواقف مصطفى صفوان و عدنان حب الله بابتعاده أو بالأحرى بتجاوزه الدوغمائية والحفاظية الإستمساكية المتصلبة بأراء فرويد حول نشوء القانون و

المنهج و النظرة أو المفهوم لا يمكن أن يوصف بأوروبي أو صيني... إلخ ، بل يوصف ب " علمي هذا المنهج أو المقال " ، لأن العقل بنظره يعلو على أن يتخم بحدود هي القارة أو العرق ، الأمة أو اللغة

لا يمكن أن ننسى أو أن نتجاهل بأن هناك خصائص في التفكير للشعوب باختلاف بيئاتها و مواقعها الجغرافية

العقل الغربي عند الدكتور زيغور مصاب بعقدة التفوق : الفرنسي مثلاً

هذا الواقع يعني بأن لكل أمة خصائص بالتفكير تختص بها و هي بالضرورة ليست ذاتها عند الأمم الأخرى

ها هو أيضاً مع  
العثمانية التي يجدها  
داخل النظرية العربية  
الراهنة في فلسفة العلم  
والتج - حسبما يشرح -  
يمثلها محمد عبد الرحمن  
مرحبا (ص 316) ، الزميل  
الذي فقدناه منذ  
سنوات . وها هو أيضاً  
يظهر مخالفاً لمواقف  
مصطفى صفوان و عدنان  
حب الله بابتعاده أو  
بالأحرع بتجاوزه  
الدوغمائية والحفاظية  
الإستمسكية المتصلبة  
بأرام فرويد حول نشوء  
القانون و التحريمات كما  
القيم و الأخلاق

الدكتور زيعور يجعل بحثه  
واسعاً ليتناول النقدانية  
الحضارية أو ما أطلق  
عليه إسم الهتكانية  
والليسانية ، بمعند إرادة  
الهدم والخلة أو  
التفكيك والتقويض وهي  
ظاهرة، كما يذهب،  
غيرسوية، بل مرضية  
عصابية

التحريمات كما القيم و الأخلاق (ص371-372) ، و ها هو أيضا يدخل في موضوعات الميتافيزيقا  
أو مقولاتها و أسئلتها، و أيضا ها هو في قراءة طبيبية لحقبة الفلسفة اليونانية (ص330 و 335) ،  
وفي بحث في ميدان الخطاب الوثني الإسلامي المسيحي و استئنافه المعاصر . (ص335 و 342)

الدكتور زيعور يجعل بحثه واسعاً ليتناول النقدانية الحضارية أو ما أطلق عليه إسم الهتكانية  
والليسانية ، بمعنى إرادة الهدم والخلة أو التفكيك والتقويض وهي ظاهرة، كما يذهب، غيرسوية،  
بل مرضية عصابية (ص 342-343) إلا في حال تخطت الإفتتان بالنمط الغربي في التقدم وتثوير  
العلم وإستسلاف الثقافة والتغني بالقيم غير المحدثنة وغير المصقولة (ص 346) .

ولا نجد الدكتور زيعور في هذه الشذرات التي يعطيها، تقوته الأخلاق أو ميادين  
فلسفة الأخلاق (ص349-352) . وميادين الفلسفات النسائية حيث يبين بأن الفلسفة النسوية  
المعنية في المدرسة العربية الراهنة هي نمط إسهامي في النظر إلى الأنوثة مدركة ضد علائقية أفقية  
تكاملية مع الذكورة (ص351-354).

وإلى جانب الفلسفة النسائية نجد ميدان فلسفة التدين والإناسة الدينية حيث يذهب الدكتور  
زيعور الى انه في هذا الميدان يختار المذهب الذي يتأسس على إعتبار الإسلام خطاباً موجهاً إلى  
البشر كافة، أي حيث الإنسان يكون منغرساً في أفق كوني ومدركاً من حيث البعد الكوني المميز  
للنوع البشري، والمغذي للقيم الأفقية. وفلسفة التدين هنا تنصب على تعميق و توسيع الكينوني في  
الإنسان أي على قيم المساواة والعدالة وإحترام كرامة البشري وحقوقه، فهي بذلك جامعة بين  
النظري والعملي: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، و هي رافضة للتغني بالدين تبريراً لعصابيات  
سياسية، اجتماعية او اقتصادية (ص352-358).

X

الماورائي و الغيبي يظهران عند الدكتور زيعور كمسألة لها اهميتها من ناحية القبول و  
الالغاء. هنا نجد نظرة سريعة على التآرجح في العودة إلى الفكر الديني والميتافيزيقي. والدكتور  
زيعور يخص بهذه النظرة محمد عابد الجابري الذي يشكل كتابه "فهم القرآن الحكيم: التفسير  
الواضح حسب ترتيب النزول". ( القسم الأول بيروت مركز دراسات الوحدة العربية سنة 2008)  
عودة للإيمان الديني أو لما كان مستبعداً أو مطموراً . ثانياً أو مؤجلاً في المؤلفات السابقة  
(ص370)

والحالة نفسها يجدها الدكتور زيعور عند عبد الله العروي في "الإيدولوجيا المعاصرة(1967)  
الذي يشكل عينة أخرى عائدة من النظر الفكراني والفلسفة إلى العقليمانية بل وحتى إلى الإيمانوية  
وزمان المقدس الرمزي(ص370).

غير أننا إن كنا نجد عند العروي أو الجابري عودة إلى اللهوثة - كما يشرح الدكتور  
زيعور- أو أيضا إلى الميتافيزيقي الديني، فإن الأمر يختلف كلياً عند زميلنا الراحل منذ سنوات عبد

ففي هذا الميدان يختار المذهب الذي يتأسس على إعتبار الإسلام خطاباً موجهاً إله البشر كافة، أي حيث الإنسان يكون منغرساً في أفق كوني ومدركاً من حيث البعد الكوني. المميز للنوع البشري، والمغذي للقيم الأفقية

فلسفة التدين هنا تنصب على تعميق و توسيع الكينوني في الإنسان أي على قيم المساواة والعدالة وإحترام كرامة البشري وحقوقه، فهي بذلك جامعة بين النظرية والعملية: "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، و هي رافضة للتغطج بالدين تبريراً لحسابيات سياسية، اجتماعية أو اقتصادية

الدكتور زيعور يبين بأن مرحبا كانت له مواقف معادية للدين و الماورائيات، مواقف منكرة للنبوات و عابدة للعقل الكافي الوافي والرافض للمعجزة والوحي، للمعاديات والغيبيات،

الرحمن مرحبا. الدكتور زيعور يبين بأن مرحبا كانت له مواقف معادية للدين و الماورائيات، مواقف منكرة للنبوات و عابدة للعقل الكافي الوافي والرافض للمعجزة والوحي، للمعاديات والغيبيات، للميتافيزيقا وللأوهية (ص373) .

ولكن الدكتور زيعور يتساءل عن السبب الذي لأجله كان مرحبا رافضا للدين، مسقطاً للتكاليف. هل هذه الحالة هي حالة نتجت من تجربة إنسان حائر قلق. خائف متمازق؟ أم هي تجربة عقل نقداني باحث متحر؟ هل تلك التجربة تعبير عن نمط أرخي، وفكر مسكوني معروف في الحضارات والأديان؟. الدكتور زيعور إذ يضع هذه التساؤلات تجده لا يظن أن أصالة ما، كثيرة أو قليلة ، تسم النقض أو نقض الفكر الديني. للدين والوحي والمعجزة والغيبيات (ص374).

من جهة اخرى الدكتور زيعور يتوقف على حالة محمد عبد الرحمن مرحبا، في أضمومة جعل عنوانها: " اللماذات وشبه الأجوبة في إصرار مرحباً على إشهار إلهاده و درونيته"، ونجده على هذا الصعيد لا يسلم أن يكون إلهاد مرحباً راجعاً إلى إعجابه الإستسلامي في الفلسفة الوضعية المنطقية وبزكي نجيب محمود. أو أيضاً أن يكون في ذلك دور كبير للفلسفات المادية وأيدولوجيا البيلجة والكراهية العنيفة الحقودة للعقلية اللاهوتية. فهذه العوامل وحدها هي برأيه غير كافية. ويعطي الدكتور زيعور بعض الفرضيات لسلوك مرحبا الرافض للدين والميتافيزيقا .

هناك برأيه ضغوط الحياة الإجتماعية الإقتصادية. ذلك أن الظروف الإجتماعية ، العسريات و اليسريات ، تولد في الإنسان طاقة توجه الشخصية إلى التوتر والتمرد على المؤلف. و مرحبا لم يكن بعيدا عن التشكي و التأفف من الواقع الإجتماعي حتى وان كان يرفض الحديث في كتاباته عن إعطاء آرائه في العدالة الإجتماعية(ص375)

ولكن هناك فلسفة العلم التي تلعب دور العامل والوقود المحرك في إلغاء الميتافيزيقي والغيبوي و اللازمي. فمرحبا منذ عام 1948 كتب في المقتطف القاهرة، في النظرية النسبية لألبر أينشتاين وإنتشرت شهرته بهذه الكتابة حتى إن كتابه فاقت طبعاته العشر طبعات فيما بعد. وهو يوم صدر له هذا الكتاب كان طالباً فهم بمفرده وبجهد الخاص نظرية أينشتاين فهماً دقيقاً وعرضها بلغة عربية دقيقة (ص376) فهل لهذا التعمق في نظريات العلم دور في موقف مرحباً من الميتافيزيقا؟

ويذهب الدكتور زيعور إلى أن هناك عوامل أخرى هي ذاتية جعلته يجحد الميتافيزيقا والزمان اللاهوتي . هو يرى بفضل علاقته الشخصية معه بأنه كانت " تتجاوز وتختلج في وعيه وغورياته ميول هائجة جرفت الحصون الإيمانية." ويفسر الدكتور زيعور هذه الميول "بشعور الشخصية الجامح باللاتقدير المطلوب وباللأمان والحرمان العاطفي ونقص الإحتماء والوقاية وبدعم إشباع حاجات حضارية. (ص376)

ويرى الدكتور زيعور بأن هناك عاملاً آخر هو وعي مرحبا بالإنتماء إلى أمة وراثية وغارقة في الماورائية . فعدمانية مرحبا - كما يذهب الدكتور زيعور- ليست سوى رد فعل أو

إستجابة جذرانية لحاجة غير مشبعة هي الحاجة للإنتماء إلى نحاوية منيعة وصلبة (ص377).  
وبعبارة أخرى يمكن أن نقول أن الشعور بالنقص إزاء القوي، أو الشعور بالضعف إزاء الهيمنة  
الحضارية العلمية الاوروبية هو الذي دفع مرحبا إلى الثورة على التراث.

هذه النظرات في مرحبا هل تعطينا بكلية حقيقته الثائرة؟ هناك مسألة أخرى أو بالأحرى حالة  
من المهم الإشارة إليها بكل وضوح. وهذه الحالة هي أن مرحبا كان معاقاً قليلاً في رجله، لم يكن  
سويّاً كبقية الناس.. فهل نجد ههنا عاملاً دافعاً لمرحبا لتحميل الماورائي، "القدر" مسؤولية هذه  
الإعاقة؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن المشكلة هنا تكون في كون مرحبا اللاهت وراء العلم لم يرد أن  
يفهم أو هو لم يفهم أن القضاء والقدر لا يعني شيئاً آخر غير قانون الوجود، أي هو سنة الوجود في  
الخلق، سنة الوجود في الوجود، هناك قانون، والقانون لا يعني شخصاً بعينه. ومن هنا فإن الخلل  
الحادث في هذا الشخص أو ذاك سببه ليس خالق الوجود بل مخالفة أو الإخلال بالعمل بمقتضى  
قانون الوجود.

أقول ذلك ولا بد من أضيف كلمات ماورائية، في بعض منها، كان مرحبا لا يستعملها ويطلب أن  
لا نستعملها لا له ولا لغيره. هذه الكلمات هي: رحم الله مرحبا رحمة واسعة وإنا على رحيله الذي  
مضى عليه عدة سنوات لآسفون ، بل آسفون كل الأسف.

X

بصورة مجملّة كتاب الدكتور زيعور الذي يبغى تبيان العلاقة القائمة بين العقل  
والتجربة يركز في نهايته . الباب الأخير فيه، وهو الباب الخامس، على أعمومات في العقل  
والفلسفة، على العقول العربية بإنتاجها الكانطي والهيپيلي الماركسي والنيشوي الهيدغري (ص384)  
ويبين بأن الفلسفة تعاني من الثنائية بين الجسد والعقل، بين الدماغ والوعي. وهنا تمييز بين عالمين  
أو قطبين يشكل نسغ و روحية الخطاب اليوناني العربي اللاتيني، حتى ديكارت المعتبر - كما يقول -  
فاتحة الفلسفة الحديثة، سطع كمثل للخطاب الذي يجعل الجسد ومن ثم الدماغ عالماً ممتداً يفتقر إلى  
الوعي، ويجعل النفس ذات وجود مستقل تعطي للجسد وتكون هي عينها الوعي والعقل أو الحالات  
العقلية (ص387).

الدكتور زيعور لا يرى بأن ديكارت كان أصيلاً أو صانعاً للنظرة الحديثة في  
الإنسان، في الفكر والوجود، بل إننا - كما يقول - نجد عنده تصورات توهمت تمثيلات نفسية  
وخرافية تعود إلى عالم اللاعقلي والطفلي وحتى الهزائي : (ص387-388) .

ان همّ الدكتور زيعور هو أن يظهر كيف أن العقل مقترن بالتجربة، بل كيف هما قطبان  
متلازمان رغم كل الإشكالية القائمة بينهما (ص399) وهنا يشير الدكتور زيعور الى إشكالية العقل  
مع الإحساس والإحساس مع الإدراك (ص391-393) . كما يشير إلى الإشكال البيولوجي في عالم  
الوعي (ص393-398) ويتوقف على العقل والحاسوب الرقمي، أو على العقل والعقل الإصطناعي

الدكتور زيعور يتساءل  
عن السبب الذي لأجله  
كان مرحبا رافضاً للدين،  
مسقطاً للتكاليف. هل  
هذه الحالة هي حالة  
نتجت من تجربة إنسان حائر  
قلق. خائف متمازق؟ أم  
هي تجربة عقل نقداني  
باحث متحر؟

الظروف الإجتماعية ،  
العسريات و اليسريات ،  
تولد في الإنسان طاقة  
توجه الشخصية إلى التوتر  
والتمرد على المألوف

يمكن أن نقول أن الشعور  
بالنقص إزاء القوي، أو  
الشعور بالضعف إزاء  
الهيمنة الحضارية العلمية  
الأوروبية هو الذي دفع  
مرحبا إلى الثورة على  
التراث

يشير الدكتور زيعور إلى  
إشكالية العقل مع  
الإحساس والإحساس مع  
الإدراك (ص391-393) .  
كما يشير إلى الإشكال

البيولوجي في عالم  
الوعي (ص393-398)  
ويتوقف على العقل  
والحاسوب الرقمي، أو  
على العقل والعقل  
الإصطناعي

تدريس مادة الفلسفة في  
الجامعات العربية تعتمد  
على تحليل هو تابع  
للمدارس الفكرية الغربية.  
وليس على نحو مستقل

يتسائل الدكتور زيجور :  
هل "ديكارت ومفهوم  
العقل" جدير بالدراسة أم  
أن الديكارتية الغربية  
المعاصرة هي الأحق  
بذلك؟

أن إستنتاجات الدكتور  
زيجور العلم نفسانية تفيد  
كثيراً في فهم بعض  
جوانب شخصية الفيلسوف  
دون ان نستطيع ان نطل  
منها على فلسفة  
الفيلسوف نفسه

هذا الكتاب يعطي  
أضواءً وهاجعة، يفتح

مبيناً كيف أن الحاسوب لم يستطع أن يفكر، وأن يشعر أو ان يفعل، بقدر ما هو يستطيع القيام  
بالمعالجة الشكلية مما يجعل العقل خاصاً أو حصراً بالإنسان (ص398-399) .

ولكن ما هي أفهومة العقل داخل الكتاب الفلسفي العربي ؟ الدكتور زيجور ينطلق  
من نقد الكتاب العربي المعاصر المكرس للعقل. هنا نجده يبين بأن تدريس مادة الفلسفة في الجامعات  
العربية تعتمد على تحليل هو تابع للمدارس الفكرية الغربية. وليس على نحو مستقل، ومن ثم ليس  
بروحية تفر للفكر العربي بحقه وحرية في أن يفهم تاريخ الفلسفة والفكر على نحو ليس خاضعاً  
للآخر المستقوي بأساطير خاصة به وبمركزانيته أو تعصبه الإنقالي على هويته. (ص411-412)  
ويعطي الدكتور زيجور مثلاً على هذا الواقع كتاب "مفهوم العقل في الفكر الفلسفي " للمدرس  
الجامعي إبراهيم مصطفى إبراهيم (بيروت دار النهضة العربية 1993)، ذلك أن هذا الكتاب يهمل  
الكتاب والفلاسفة والباحثين العرب المعاصرين: فمثلاً يخصص أقل من عشر صفحات لتقويض  
النظريات العربية في مفهوم العقل ويضع ذلك تحت عنوان غير تاريخي، غير دقيق، وهو "مفهوم  
العقل في العصر الوسيط". الدكتور زيجور يتساءل بهذا الصدد: هل هذا هو العطاء العربي  
الإسلامي؟ وأين محاكمته أو تدبره التاريخي؟ كما ويتسائل الدكتور زيجور : هل "ديكارت ومفهوم  
العقل" جدير بالدراسة أم أن الديكارتية الغربية المعاصرة هي الأحق بذلك؟ (ص411-413) .

كثيرة وكثيرة مثل هذه التساؤلات عند الدكتور زيجور، الذي يريد أن ينبش الفكر  
العربي بعقل ناقد ومنفتح على التاريخ، على العالم بأسره. على التراث العربي الإسلامي بكلية  
علاقته وتفاعلاته مع الآخرين.

X X

لا يمكن للقارئ أن ينتهي من قراءة كتاب الدكتور زيجور الذي نحن بصده إلا  
وقد تركت في نفسه فكرة أن الفلسفة العربية هي فلسفة رجال عاشوا أحداثاً أملت عليهم ما  
أنتجوه من فكر فلسفي ، بمعنى أن وراء كل فلسفة من فلسفاتهم تجربة شخصية عاشها الفيلسوف.  
ولكن هل هذا الواقع وهذه الخلاصة هي خاصة من خصائص الفلسفة العربية أم أن كل الفلاسفة منذ  
أن كانوا وإلى اليوم، عرباً كانوا أم أعاجم ، يصنعون فلسفتهم بوحى تجاربهم الخاصة او المعاشة؟.

أضع هذا التساؤل لأصل إلى هذه الفكرة وهي أن إستنتاجات الدكتور زيجور العلم  
نفسانية تفيد كثيراً في فهم بعض جوانب شخصية الفيلسوف دون ان نستطيع ان نطل منها على فلسفة  
الفيلسوف نفسه. ان ما تعطيه تحاليل الدكتور زيجور من استنتاجات هي في غالبيتها ظنية. والدكتور  
زيجور نفسه - كما بينا في ما سبق - اشار الى ذلك، بالاضافة الى كون هذه الاستنتاجات هي  
بصورة عامة استنتاجات تعطي ظاهرة انسانية عامة نجدها عند كل الناس بدرجات متفاوتة، هي مثلاً  
لو اخذناها عند ابن رشد او غيره لما اعطتنا ابن رشد بعينه دون غيره من الناس. و انه لمن  
المعروف بانه لا يوجد انسان يخلو من اشكال نفسي. تلك حالة هي حالة كل موجود او لأقل سنة او



طريقاً ويحاول قدر  
المستطاع أن يحلج من  
شأن التراث الفكري  
العربي الإسلامي، كما  
ويحاول أن يدفع دفعا  
حقيقاً باتجاه الوفاء له  
وفاء لا يكون بالتقوقع  
فيه ، بل بمحاكمته  
محاكمة نقدية بناءة من  
أجل تطويره والحفاظ على  
عقلانيته

وهكذا فكتاب الدكتور زيعور الذي يعطي تحليلاً علم نفساني ما سبقه إليه أحد من  
قبل يظهر ككتاب هام وإن كان يبقينا على المستوى الشخصي للفيلسوف ، و لا ريب بأن هذا  
المستوى هو هام بل جد هام بالنظر الى كونه يدخلنا قدر الامكان الى خبايا الفيلسوف النفسية  
العميقة.

الدكتور زيعور في هذا الكتاب, لم يكن ليحلل الفلسفة فقط بل كان يحلل ويحاكم  
احيانا اخلاقيا اي كان يخرج احيانا عن كونه محللا نفسانيا. و لكن مهما يكن الامر, فان هذا الكتاب  
يعطي اضواء وهاجة, يفتح طريقاً ويحاول قدر المستطاع أن يعطي من شأن التراث الفكري العربي  
الإسلامي, كما ويحاول أن يدفع دفعا حقيقاً باتجاه الوفاء له وفاء لا يكون بالتقوقع فيه , بل بمحاكمته  
محاكمة نقدية بناءة من أجل تطويره والحفاظ على عقلانيته التي - التي كما يؤكد الدكتور زيعور  
بإستمرار - ما كانت يوماً دون عقلانية الحضارة المعاصرة.

\*\*\* \*\*

في الذكرى العاشرة لتأسيسها (جوان 2013)

الشبكة تسعى لتكريم مجموعة من العلماء بإسنادهم لقرن

"الراسخون في العلوم النفسية"

[www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.TurkyPsyExcellent.pdf)

\*\*\*\* \*\*

دليل إدارات الشبكة

دليل المستجدات

[www.arabpsynet.com/Documents/DocIndexAr.htm](http://www.arabpsynet.com/Documents/DocIndexAr.htm)

دليل المجلة العربية للعلوم النفسية

[www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm](http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm)

دليل سلسلة الكتاب الإلكتروني

[www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm](http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm)

دليل الأبحاث والدراسات في العلوم النفسية

[www.arabpsynet.com/Archives/OP/IndexPAar.htm](http://www.arabpsynet.com/Archives/OP/IndexPAar.htm)

دليل المعجم النفسي العربي

[www.arabpsynet.com/HomePage/DictAr3.htm](http://www.arabpsynet.com/HomePage/DictAr3.htm)

دليل يوميات الإنسان و التطور

(بروفسور يحيى الرخاوي)

[www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm](http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm)